دراسات في رسائل النور

إنسانية الرجل والمرأة في القرآن الكريم

بمنظور الإمام بديع الزمان سعيد النورسي

تأليف
الأستاذ الدكتور
عابد توفيق الهاشمي

SÖZLER PUBLICATIONS

بسم الله الرحمن الرحيم

إنسانية الرجل والمرأة في القرآن
بمنظور الإمام الصالح بديع الزمان النورسي رضي الله عنه

د. عابد توفيق الهاشمي
جامعة صنعاء – اليمن

مقدمة

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تحية كريمة للمؤتمر الخامس المنعقد في عاصمة الخلافة الإسلامية لسبعة قرون خلت، إحياء لذكرى الإمام الداعية المجدد الذي استرد للشعب التركي المسلم عمق إيمانه ورسالة الإسلام في الخافقين.

رضي الله عن الإمام سعيد وأرضاه في ضيافة ربه الكريم، بعد أن استوعب هدي الله، فامتلأت به جوانحه وفاض علي الدنيا بنوره:

لما علمت بأن قلبي فارغ
ممن سواك ملأ ته به داكا
وملأت كُلي منك حتى لم أدع
مني مكاناً خالياً لسواكا

لقد استوعب إمامنا . العالم المجاهد الإسلام نظاماً شاملاً فكتب في شتى آفاق الحياة، واخترت لهذا المؤتمر الكريم هذا البحث بعنوانه. ورغم أن الإمام عاش أعزب فلم يمرّ بتجارب مع المرأة إلا أن نظرته القرآنية والواقعية، والتحليلية نظرة ذكية بعيدة المدى عميقة الغور.

كلمة (الإنسان) في القرآن الكريم كلمة عزيزة على خالقه **(لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ)**[1]، ولكل من الرجل والمرأة مكانة مرموقة في كتابه العزيز، كيف لا، وهدي الله لم ينزل إلا إليهما، زيادة في التكريم والإحسان: **(فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِل وَلا**

---

[1] التين /٤.

يَشْقَى)[1] . لا يضل عقله في متاهة الحياة، ولا تشقى نفسه في متاعبها، وأفضل تكريم لهذا الإنسان . رجلاً وامرأة صحته العقلية والنفسية، مادام في رحاب هدي الله، ومعيّته: (أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه).[2]

لقد كرم الإسلام الرجل والمرأة من غير انتقاص لأحدهما، وكان التكريم على قدم المساواة، على نقيض اليهودية والنصرانية التي هبطت بالمرأة إلى الحضيض في كتابها المسمى بالمقدس، واعتبرتها سبب كل جريمة على وجه الأرض بخطيئتها الوراثية في معصيها وآدم في الجنة.

وان تكريم الإسلام لهما كامنٌ في الحقوق والواجبات: **(وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ)**[3] . هي درجة الخدمة لها والإنفاق عليها، وهي القوّامة بمعناها اللغوي والشرعي.

وتكريمها بالثواب والجزاء في الدارين: **(مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)**[4].

ولما كان هذا البحث يتناول الرجل والمرأة من خلال تكريم خالقهما لإنسانيتهما، فإنى عنيت فيه ببيان قيمتيهما في الإسلام، ولا سيما قيمة المرأة التي نُسِيت لدى الكثيرين من الكُتّاب والمحدّثين، وظُلمت في واقع أكثر المسلمين أيّ ظلم! ـ أميةً، وعبوديةً واحتقاراً، ولابد لها من نصير، ويكفي انتصار خالقها لها: **(أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ)**[5]؟! وانتصار رسوله الرحيم لها أيضاً: **(..وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . صِرَاطِ اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الأُمُورُ)**[6] ويكفيها مباهاةً انتصارُ الإمام الصالح السعيد لها، وإني نصير المرأة كذلك، فقد تعاطفتُ في نصرتها من خلال تعاطف الإمام معها، بما يتسع له البحث المحدود، وليس لنا جميعاً أيّ فضل، وإنما الفضل لله ولرسوله بما شرع لها من إنسانية كريمة.

وعُنيتُ بالبحث كذلك في بيان حماية الإسلام للمرأة، ولاسيما في مجال الحجاب وفي مجال الزواج ومكانتها لدى الرجل إذ هي قرينته في الدنيا والأخرى، بل هي الأميرة في بيت زوجها، إذ هي ضيفة العمر، والضيف أمير على أهل الدار، كما ألمعتُ إلى الحقوق المتبادلة والواجبات بينهما، والى المشاعر الفطرية التي غرسها الخالق فيهما لدوام الحياة: **(وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ**

---

[1] طه – ١٢٣.

[2] حديث قدسي.

[3] البقرة/٢٢٨.

[4] النحل / ٩٧.

[5] الزمر/٣٦.

[6] الشورى/٥٢-٥٣.

خَلقَ لكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَل بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلكَ لآيَاتٍ لقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ).[1]

ثم إني أسهمت بمقام الأم في رسالتها في بناء الأسرة، وهي أقدس رسالة . على الأرض، وأبرك ثمرةٍ في الحياة الدنيا، وفي الآخرة خلود في الجنة، إضافة إلى رفقة زوجها فيها.

وختمت البحث بإزاحة الستار عن الملابسات التي وقع فيها الكثيرون من خلال عزوبة الإمام وتضحيته بنعمة الزوج ونعمة الأولاد، تضحية نادرة منه في خدمة القرآن الكريم، والتفرغ الكامل للتصدي للهجمات الشرسة التي اجتمع عليها العلمانيون والماسونيون والصليبيون والعملاء وعشاق الدنيا والنظام العالمي الجديد بقيادة اليهودية العالمية التي ما يزال الدجال . وهو حيّ! . يقودها لتدمير الإسلام وإبادة أهله.

لقد أسهمت في المؤتمر المنصرم ببحث بعنوان (إخلاص الإمام بديع الزمان النورسي ودعوة القرآن الكريم)، ثم أصدرت كتاباً فيه. وآمل أن أصدر كتاباً آخر بعنوان هذا البحث خلال سنة إن شاء الله.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى ما يلي:

١. إبراز نظرة الإمام الثاقبة إلى أحكام القرآن الكريم في الرجل والمرأة . قيمتها ودقة الصلة بينهما، ومسؤولياتهما.
٢. اجتهادات الإمام الحكيمة في بعض أحكام القرآن هذه، بما يتجاذب مع مشاكل العصر .
٣. إيضاح عمق الوعي ونقاء الإيمان في جمال الأسلوب حين حديثه عن المرأة خاصة بالمنظور الإسلامي بغيرته عليها ورحمته بها.
٤. بيان وجهة نظره في عدم زواجه، وبقائه أعزب حتى وفاته.

محاور البحث:

١. إنسانية الرجل والمرأة .
٢. قيمة المرأة والرجل في الإسلام – بمنظور الإمام (رضي الله عنه).
٣. حماية الإسلام للمرأة بالحجاب بمنظور الإمام (رضي الله عنه).
٤. الزوجة في رحاب الإسلام في الدارين – بمنظور الإمام (رضي الله عنه).

---

[1] الروم – ٢١.

٥. الأم في رحاب الإسلام – بمنظور الإمام (ﷺ).
٦. لمَ لمْ يتزوج الإمام (ﷺ)؟

المحور الأول (إنسانية الرجل والمرأة):

يقرر القرآن الكريم أن الناس خلقهم الله من آدم وحواء، وأن حواء خلقت من آدم **(يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الذِي خَلقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلقَ مِنْهَا زوجها وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيرًا وَنِسَاءً)**.[١]

لذا فإن المرأة تحِنّ إلى الرجل بفطرتها، إذ هي خلقت منه، ويؤكد ذلك المصطفى ﷺ بقوله: (إن المرأة خُلقت من ضِلع، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن أردت تقويمها انكسرت،.. ألا فاستوصوا بالنساء خيراً).[٢]

فكلاهما إنسان، على نقيض ما كان سائداً في الغرب، إذ لا يقيمون وزناً لإنسانية المرأة، بل يعتبرونها رأس كل شر، اعتماداً على عقيدتهم الدينية في كتابهم المقدس، كما لا يقيمون لها وزناً في عصور الحضارة الحديثة، إذ هي ملك مشاع بين الرجال، فتاهت المرأة الغربية بين أنها متهمة في كل سلوك لها من خلال عقيدة الكتاب المقدس وبين كونها جنساً مشاعاً للرجل للترفيه وإشباع الشهوة البهيمية! في النظام العالمي الجديد! فلا حرمة لها في الحالين.

المحور الثاني (قيمة المرأة والرجل في الإسلام ـ بمنظور الإمام):

قيمة المرأة ـ لعل أجمل وصف للمرأة المسلمة ما وصفها الإمام وصفاً مستقى من صميم الكتاب والسنة إذ قال فيها: (إنها مخلوق مبارك، ليكُنّ منشأ الأخلاق الفاضلة).

ويوضح الإمام بعض أسباب امتياز هذا المخلوق المبارك على الرجل، فيذكر في اللمعات: (إن النساء لا يشبهن الرجال من حيث الشفقة والحنان في التضحية ولا في الإخلاص. وإن الرجال لا يبلغون شأوهن في التضحية والفداء، وكذلك لا تدرك المرأة الرجل في السفاهة والغيّ بأيّ وجه من الوجوه، وتعاقب عليها في الواقع أضعاف عقاب الرجل ـ فطرةً ـ وسمعةً، وقصاصاً)[١]، ويخرج من كل ذلك بنتيجة مهمة هي: (أن النساء مخلوقات مباركة، إذ تكاد تنعدم

---

[١] النساء/١.
[٢] رواه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والدرامي
[١] اللمعات/النورسي/٣١٢.

فيهن قابلية الفسق والفجور[٢]، خلقن لأجل قضاء حياة أسرية سعيدة ضمن نطاق التربية الإسلامية).[٣]

نعم، إنه مخلوق مبارك في خلق الله، على نقيض العقيدة اليهودية والنصرانية في كتابهم المقدس[٤]. لذا فإن هذه البركة التي أودعها الله فيها هي التي ميزتها على الرجل . فطرةً.

ويشرح القرآن الكريم والسنة المطهرة هذه الأفضلية في عدة آيات كريمات، منها:

١. قوله تعالى: **(الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ)**.[١]

---

[٢] لأسباب عدة: منها إن الله تعالى أودع فيها الحياء من الرجل فطرة والحذر منه، ومنها إن الله تعالى خلقها وختم على رحمها بغشاء البكارة تنبيها لها أنها خلقت للزوج والإنجاب، وليس ملكاً مشاعاً كما هو حال النظام العالمي الجديد.

ومنها أن تحذر الوقاع الجنسي مع غير الزوج لئلا تدفع ثمن المتعة الجنسية لدقائق الخزي والعار لها في المجتمع والولد الحرام يعيش من غير أب وما وراءه من متاعب تهدد كيانها، ومنها أنها تصاب بأمراض جنسية، وأخطرها مرض الإيدز الذي يقضي على حياتها، وان ٤٠٠مليون رجل وامرأة سيموتون خلال بضع سنين! ومنها أنها تكون ملكا للرجال فتفقد كرامتها في المجتمع الذي تسوده القيم، بل تفقد حياتها في المجتمع المسلم. لذا فهي مخلوق خلقه الله فطرةً بالعفاف.

[٣] اللمعات/٣١٢.

[٤] أما العقيدة اليهودية والنصرانية المشتركة في التوراة، فيوضحها سفر التكوين في (٢، ٣، ٨). بأن الله خلقها هي وآدم عمياوي البصر والبصيرة، وأوصاهما أن لا يأكلا من شجرة (معرفة الخير والشر) حتى لا تنفتح أعينهما وبصيرتهما، إذ كانا عمياوي العين والعقل! فغار الله منهما، وقال: صارا مثلي يعرفان الخير والشر، فغضب عليهما، وطردهما من الجنة، فلما كانت البادئة بالمعصية، لذا فهي في عقيدة التوراة البادئة بالخطيئة، ومن نسلها البشر المتلبس بها، فهي رأس كل جريمة، ومن ذلك المثل الغربي (فتش عن المرأة)، إذ هي السبب بعقيدتهم في كل خطيئة .

ثم إن الله خلق الإنسان . رجلاً وامرأة . بفطرة شريرة، وأجبره عليها، وحل فيه! أستغفر الله، لذا (فإن الله القدوس هو علة الشرور التي يقترفها الإنسان على الأرض، لأنه هو الذي خلق طبيعة الإنسان السافلة، وهو الذي يقود الإنسان إلى الخطيئة بقدره .....) التلمود / ١١٣ لذا فإن الله ندم على خلق الإنسان فأغرقه في الطوفان) انظر سفر التكوين / ٧/ ٢٢

أما العقيدة النصرانية في العهد الجديد، فإضافة إلى عقيدتهم السابقة في التوراة، فإن قيمة المرأة هزيلة لأنها مصدر الخطيئة الوراثية (لأن آدم جُبل أولاً ثم حواء، وآدم لم يُغْوَ، لكن المرأة أُغويت، فحصلت في التعدي) رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس /٢/٣/١٤٠، فلا حق لها أن تعلِّم: (لست آذن للمرأة أن تعلِّم ...بل تكون في سكوت). رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس /٢/١٢،١١.

وعليها أن تخضع خضوعاً مطلقاً للرجل، ولا حق لها أن تتكلم في الكنيسة: (لتصمت نساؤكم في الكنائس، لأنه ليس مأذوناً لهن أن يتكلمن، بل يخضعن،.....لأنه قبيح بالنساء أن تتكلم في كنيسة) رسالة بولس الرسول إلى كورنثوس / ١٤/ ٣٤/ ٣٦ ولكن تسأل زوجها في البيت!

ثم إن هذه الخطيئة الوراثية في نسل آدم انتهت في العقيدة المسيحية إلى أن يفدّي عيسى (عليه السلام)، وهو إلههم بعقيدتهم نفسه، بالصلب، لإنقاذ أمته النصارى من هذه الخطيئة الوراثية، فصلب على الخشبة، فكان ملعوناً في كتابهم: (افتدانا المسيح من لعنة الناموس، إذ صار لعنة من أجلنا، لأنه مكتوب . أي في التوراة . ملعون كل من عُلِّق على خشبة)! رسالة بولس إلى أهل غلاطيه /٣ وذهب مفسرو الكتاب المقدس إلى أن عيسى (عليه السلام) هو في قعر جهنم، بسبب فدائه نفسه بالصلب، في حين أن الإنجيل ينفي الصلب كما ينفي الفداء لأنه لم يُرِد الموت. والعقيدة المسيحية تقوم على هذه الثلاثة . الخطيئة والفداء والصلب!!

[١] النساء/٣٤.

فالرجال قوامون . بصيغة المبالغة . أي كثرو القيام على خدمة المرأة وقضاء حوائجها، لضعفها ومقامها المحبوب عند الرجل، فهي تستحق هذا التفضيل بخدمة الرجل لها، وبما فضل الله بعضهم على بعض، فالرجال مفضّلونَ في ميادين اختصاصهم في قيادة الأسرة داخلها والعمل خارجها، والنساء مفضّلن على الرجال في ميادين اختصاصهن في الصفات الأربع التي ذكرها الإمام سالفاً، وفي غيرها في إسعاد الزوج ومجال تربية الأطفال إذ هي أفضل منه، لاسيما في السنوات السبع الأولى . في الحضانة الشرعية للأطفال. كما تستحق خدمتها بالإنفاق عليها، إذ الرجل مسؤول عنها ابنةً وزوجةً وأماً وأرملةً، وليس للرجل زوجاً أو أباً أو أخاً أن يأخذ من مالها إلا برضاها، وحقها عليهم في الإنفاق عليها.

٢. قوله تعالى: **(المَال وَالبَنُونَ زِينَةُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالبَاقِيَاتُ الصَّالحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلا)**.[٢]

فالمال والبنون زينة . فأين البنات؟ إذ الابن ذكر، والبنت أنثى. واصطلاح (الولد) يجمعهما فأين البنات؟ إنهن يدخلن في الباقيات الصالحات، وهي: البنات والأعمال الصالحة، فخصهما بالصلاح دون البنين.

٣. قوله تعالى في تقديم ذكر البنات على البنين: **(يَهَبُ لمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ)**[٣]، كما يقدم أحياناً أخرى الذكور عليهم: **(أَوْ يُزوجهمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا،...)**[٤]، ولكل من التقديم والتأخير وجهته البلاغية والواقعية، لا مجال لشرحها.

٤. يوصي النبي الحكيم بالبنات خيراً، كما يوصي بحبهن وإعزازهن: (لا تكرهوا البنات، فانهن المؤنسات الغاليات)[١] ومن تفضيلهن أنهن مؤنسات يلاطفن أهلهن، ووديعات وهادئات، وغاليات لضعفهن وعاطفتهن الدفاقة وطاعتهن ورقتهن.

٥. كما يوصي عليه السلام بالرفق بهن . وصية خاصة دون البنين، لنفس السبب، ويشبههن بالزجاج . خوفاً عليهن من الكسر: (رفقاً بالقوارير)[٢]، ويوصي بهن في أشمل خطبه وأبركها في (حجة الوداع) قبل توديعه الدنيا، يوصي بهن بالخير دون الرجال استكمالاً لشخصيتها الضعيفة: (ألا فاستوصوا بالنساء خيراً).

فوصايا المصطفى (ﷺ) بالمرأة دون الرجل، إنما هي خصيصة خصّها بها، امتيازا لها لتدارك ضعفها وإعطائها قدرها ومكانتها في تأدية رسالتها في الحياة.

---

[٢] الكهف/٤٦.

[٣] الشورى/ ٤٩.

[٤] الشورى/ ٥٠.

[١] رواه عقبة بن عامر.

[٢] متفق عليه، ورواه أحمد بألفاظ مختلفة، ومنها: (يا انجشة، ويحك إرفق بالقوارير).

٦. شجع المعلم الأول والمربي الحكيم (ﷺ) الآباء على نعمة البنات، بضمان الجنة لهنّ إذ أن البنت الواحدة إذا أحسن الأب تربيتها وتعليمها وتأديبها، ثم زوجها ضمنت له الجنة، فكيف بمن له من البنات الكثير؟! وذلك في قوله (ﷺ): (من كان له ثلاث بنات، فأحسن تربيتهن وتعليمهن وتأديبهن، كنّ له ردءاً من النار)[٣] . أي يدخلنه الجنة، فسأل أحدهم، وكان عنده بنتان، فقال : وإن بنتان، فأقره، وسأل الآخر، وكان عنده ابنة واحدة فأقره على واحدة بدخول الجنة!

وهذا امتياز وأفضلية للأنثى على الذكر، من غير إهمال له في سائر مجالات شخصيته، إذ أن جهد الأبوين مع البنات، من غير عوض وإنما هو تدارك لضعفهن وحب لهن وتكريم.

ومما قاله الشاعر المسلم في حق البنات إشفاقاً عليهن من الضعف والعوز وحماية لهن من الأشراك التي تحاك عليهن أبيات خالدة، منها:

لقد زاد الحياة إليّ حباً ... بناتي إنهن من الضعاف
أحاذر أن يرين الفقر بعدي ... وأن يشربن رَنْقاً بعد صاف
وأن يعرَيْن إن كسي الجواري ... فتنبو العين عن كوم عجاف[٤]
أبانا من لنا إن غِبت عنا ... وصار الناس بعدك في اختلاف؟!

ويقول آخر في بناته جزعاً عليهن لضعفهن وضيق موارد العيش لهن:

لولا أميمةُ لم أجزع من العدم
ولم أَجُبْ في الليالي حِندسَ الظُّلم
وزادني حذراً للموت معرفتي
ذل اليتيمة يجفوها ذوو الرَّحِم
تهوى حياتي، وأهوى موتها شَفَقاً
والموتُ أكرم نَزّال على الحَرَم

ويرى الشاعر الآخر أن البنيات الصغيرات قيّدنه عن السياحة في الأرض، كما يصور عاطفته الدفاقة إزاءهن أبلغ تصوير:

لولا بُنَيّاتٌ كزُغب القطا
رُدِدْن من بعض إلى بعض!

---

[٣] حديث صحيح.

[٤] الكوم : المرأة، العجاف : الهزيلات

لكـــــان لـــــي فـــــي الأرض مُضـــــ

طَـــــرَبٌ ذات الطـــــول والعـــــرض

وإنمـــــا أولادُنـــــا بيننـــــا

أكبادنـــــا تمشـــــي علـــــى الأرض

لوهبّـــــت الـــــريح علـــــى بعضـــــهم

لامتنعـــــت عينـــــي عـــــن الغمـــــض!

ويعلل الإمام امتياز وأفضلية الأنثى على الذكر في التشريع الإسلامي بما فُطِرنْ عليه: (النساء هنّ رائدات الشفقة، وبطلات الحنان، فقد أصبحن أكثر ارتباطاً برسائل النور فطرة)، ويضيف أن (هذه العلاقة الفطرية نحسّ بها في كثير من الأماكن، والحمد لله).[1]

ثم يخلص الإمام من هذه الصفة الفطرية للمرأة إلى التضحية التي تقدمها المرأة في مجال الإيمان والدعوة: (ولقد غدت التضحية التي تنطوي عليها الشفقة والحنان ذات أهمية عظمى في زماننا هذا، إذ أنها تعبّر عن إخلاص حقيقي وفداء دون عوض ومقابل).[2]

فالمرأة زوّدها الله تعالى بالصبر النادر، والتضحية والشفقة والإخلاص، وميّزها به لتستعين بها على رسالتها المؤهلة لها فطرة في الإنجاب والتربية والجهد المضني في بناء الأسرة – زوجاً وأولاداً وداراً، يتسغرق ليلها ونهارها أحياناً، من دون تفكير بعوض.

أما الرجل فتخصصه في ميدانه العمل خارج البيت، وجهده في التربية والتعليم لأولاده داخله بعد مرحلة الطفولة خاصة فليس بالهيَّن، غير أن الأساس الذي تُبنى عليه الأسرة إنما هو المرأة – زوجةً في إسعاد زوجها، إذ هي سكَن واطمئنان وطِبّ له، وأمّاً في التربية الأولى التي تخلد تربيتها في عمر أولادها حتى النهاية.

غير أن كلاً من الرجل والمرأة لا يحققان أفضلية بعضهما على بعض إلا برعاية فطرتهما بهدي الله: **(فَأَقِمْ وَجْهَكَ للدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ التِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيل لخَلقِ اللهِ ذَلكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلمُونَ)**.[1]

---

[1] اللمعات/٣٠٧.

[2] المصدر السابق/٣٠٧.

[1] الروم/٣٠.

لأن الفطرة ما لم توجَّه التوجيه الإلهي الحكيم فإن البيئة تفسدها، حينئذ تضطرب نفسية الاثنين، وتفسد الأسرة، كما يفسد المجتمع بسببها.

٧. يذكر الإمام سعيد (رضي الله عنه) حديثاً له حسابه في أفضلية الأنثى على الذكر، وهو (أن أبا البنات مرزوق)،[٢] وفي هذا إشارة،كما يقول، إلى أن (في آخر الزمان يكثر الإناث من الأطفال، ولكنهن طيبات، يبارك الله في أرزاقهن).[٣]

وهذا امتياز آخر للأنثى على الذكر في ميزان الإسلام، وهو نقيض المعنى الظاهري الذي يشير إلى أن لا ربح مادياً لها يدر على الوالدين، إذ أنهما يتعبان وينفقان عليها حتى يزوجانها، فتنتقل إلى بيت زوجها من أي عائد مادي، بينما القيم الإسلامية تشعرها بالعزة والمكانة المرموقة، إذ هي بركة الرزق، **(نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ)**.[٤]

لذا فقد أكد الإمام الحكيم / سعيد (رضي الله عنه) على ضرورة تأدب المرأة بالآداب الإسلامية لتتكامل شخصيتها، فتستحق المقام اللائق بها في كتابه عز وجل ورسوله الكريم (ﷺ). إنه يقول: (لا يمكن بلوغ السعادة في الدنيا والآخرة وانكشاف لسجايا راقية في النساء إلا بالتأدب بالآداب الإسلامية التي تحددها الشريعة الغراء).[٥]

مجالات مساواة الرجل بالمرأة:

حينئذ من حق هذه المرأة أن يكون لها شأن في الأسرة بنظر زوجها وقلب أولادها، وفي المجتمع، ويكون لها من الواجبات والحقوق ما للرجل في مجالات العبادة والعمل الإسلامي والدعوة والأجر والثواب في الدنيا والأخرى، وهي والرجل بعضهم أولياء بعض، ويقومون برسالة الإصلاح في المجتمع، ويتعبدون الله ويثابون على قدم المساواة: **(وَالمُؤْمِنُونَ وَالمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)**[١].

كذلك فإن القرآن الكريم يجمع الرجال والنساء في خطاب واحد، بصفات إيمانية دقيقة، يمتدحهم بها، على قدم المساواة بثواب عميم لهما في دار الخلد: **(إِنَّ المُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَاتِ وَالمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ وَالقَانِتِينَ وَالقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ**

---

[٢] حديث نبوي شريف، يذكره –الإمام في الملاحق/٤٠٠.

[٣] الملاحق/٤٠٠.

[٤] الإسراء – ٣١.

[٥] اللمعات/النورسي/٣٠٦.

[١] التوبة/٧١.

وَالخَاشِعِينَ وَالخَاشِعَاتِ وَالمُتَصَدِّقِينَ وَالمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا).[٢]

بل إن كل عمل صالح، مع ثوابه الدنيوي والأخروي، مقترن في حكم الله للرجل والمرأة على حد سواء إذ هما مادة المجتمع الإنساني، وكلاهما يتعاون في هضم رسالة الله، وإبلاغها دعوة وسلوكاً في الخافقين: **(مَنْ عَمِلَ صَالحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلونَ).**[٣]

ولما كان للبنت والابن هذا المقام في الإسلام وفي الفطرة الإنسانية فإن لكل منهما مكانه في قلب الأبوين:

وأولادنـــا مثـــل الجـــوارح أيّهـــا فقـدناه كـان الفـاجعَ البَـيّن الفقـد![٤]

وكما عشنا في حب البنات في مشاعر الشعراء، فلا بد أن نمتع قلوبنا ببعض شعر الأدباء بحبهم لأبنائهم، إذ جميعهم قرة الأعين:

ولـــدي يـــا نبضـــةً فـــي خـــافقي ولـــدي يـــا فلـــذَةً مـــن كبِـــدي
ولـــــدي يـــــا كوكبـــــا أرقُبُـــــه كـــــي أرى فيـــــه ضـــــياءَ الفرقـــــد
ورياضـــــــي إن ذوت أزهارُهـــــــا أنـــت فيهـــا الطَـــل والزهـــرُ النـــدي
وإذا مـــــزّق صـــــدري زفـــــرةٌ كَنـــت أنـــت الطِّـــب يشـــفي جســـدي

❁❁❁

ولـــدي إن كنـــتَ ترجـــو رحمـــة وســـلاماً مـــن إلـــه ســـرمدي؟
فاتخـــذْ خيـــر دليـــل قَبَســـاً مِـــن ســـنا القـــرآن حتـــى تهتـــدي

❁❁❁

ولـــدي إن كـــان يـــومي حالكـــاً أنـــت إطلالـــة فجـــري وغـــدي
ونـــدائي فـــي الحنايـــا أبـــداً وهتـــافي وحنينـــي : ولـــدي![١]

ومن روائع الشعر العربي الذي يمثل القلب النابض للأب المفجوع بولده، والذي يمثل الفطرة التي أودعها الخالق في الآباء ليصبروا على تربيتهم وبناء شخصيتهم منذ نعومة أظفارهم:

ثكِلـــتُ ســـروري كلـــه، إذ ثكِلتُـــه وأصبحت فـي لـذات عيشـي أخـا زُهـد
أريحانـــةَ العينـــين والأنـــف والحشـــا ألا ليت شعري، هل تغيرتَ عن عهد؟!
سأسـقيكَ مـاء العـين، ماأسـعدَتْ بـه وإن كانـت السُّقيا مـن الـدمع لا تُجـدي

---

[٢] الأحزاب/٣٥.

[٣] النحل/٩٧.

[٤] ابن الرومي.

[١] يوسف العظم: رحمه الله، شاعر الأقصى لولده جهاد.

❁❁❁

كـأنيَ مـا اسـتمتعت منـك بضَـمّةٍ ولا شَـمّةٍ فـي ملعـب لـك أو مَهـد!
وأنـت وإن أُفـرِدتَ فـي دار وحشـةٍ فـإني بـدار الأنـس فـي وحشـة الفـرد!
عليـك سـلام الله منـي تحيـةً ومـن كـل غيـثٍ صـادق البـرق والرعـد[٢]

ويقول الآخر:

أشـكو بعـادَك لـي، وأنـت بموضـعٍ لـولا الـردى، لسـمعتَ فيـه سِـراري
والشـرقُ نحـو الغـرب أقـربُ شـقةً مـن بُعـد تلـك الخمسـة الأشـبار[٣]

المحور الثالث (حماية الإسلام للمرأة بالحجاب):

المرأة مخلوق إنساني ضعيف ثمين يستدر الحماية والصيانة، إضافة إلى التكريم لسمو رسالتها وعنائها وجهدها في النصائح المتناثرة في أرجاء رسائل الإمام وكتبه. لقد عُني بالحديث عن حمايتها في المجالات الآتية:

أما حمايتها بحجابها، فإن الإمام يرى (أن الحسناء إذا دخلت مجلساً تسود فيه الاخوة أثارت فيهم عروق الرياء والمنافسة والحسد والأنانية، فتنتبه الأهواء الراقدة، ثم يعقّب على ذلك بقولـه: إن تكشـف النسـاء تكشـفاً دون قيـد أصـبح سـبباً لتكشـف أخـلاق البشـر السـيئة وتناميها،...)[*]، إنها لحكمة واقعية ثمينة. معنى ذلك أن إظهار جمال المرأة، ولاسيما الحسناء، وإظهار مفاتنها مما يحمل على الفتنة وإستثارة المطامع للرجال السيئين، إضافة إلى هدم الخلق لبعض الصالحين، وبالتالي هو إفساد للرجال، وتعريض النساء للإيقاع بهن، فالحجاب حماية لهن، وأمان للرجال من فتنة النساء. كذلك التبرج والزينة التي تضاعف من جمال المرأة وإغرائها وإغوائها، لهذا فإن الإمام سعيد (رضي الله عنه) الغيور على المرأة وحمايتها، يوضح أن الشباب حين يرى التبرج والتكشف تقل ثقته بهن كزوجات أمينات وفيات، ويميل إلى اتخاذهن خليلات وعشيقات، حينئذ تقع الطامة الكبرى على الأسرة، لذا يوصي المربي الأول (ﷺ): (عفّوا عن نساء الناس تعفّ نساؤكم، وبرّوا آباءكم تبرُّكم أبناؤكم)[١]، فيقل الزواج، وتنخفض نسبة الإنجاب فتضعف الدولة المسلمة بقلة الأولاد. إنه يقول: (إن كثرة النسل مرغوب فيها لدى الجميع، فليس هناك أمة

---

[٢] ابن الرومي.

[٣] أبو الحسن التهامي.

[*] الكلمات/٤٧٤.

[١] رواه الحكم.

ولا دولة لا تدعو إلى كثرة النسل. وقد قال الرسول الكريم (ﷺ): (تناكحوا فإنما أنا أباهي بكم الأمم يوم القيامة)[٢] بيد أن رفع الحجاب وإفساح المجال أمام التبرج والتكشف يحد من الزواج بل يقلل من التكاثر كثيراً، لأن الشباب مهما بلغ فسوقه وتحلله فإنه يرغب في أن تكون صاحبته في الحياة مصونةً عفيفة، ولا يريدها ان تكون مبتذلة متكشفة مثله، لذا تجده يفضل العزوبة على الزواج، وربما ينساق إلى الفساد)[٣]،... ويسترسل في الحديث: (المرأة من حيث كونها مديرة لشؤون البيت الداخلية، ومأمورة بالحفاظ على أولاد زوجها وأمواله وكل ما يخصه، فإن أعظم خصالها هي الوفاء والثقة، إلا أن تبرجها وتكشفها يفسد هذا الوفاء، ويزعزع ثقة الزوج بها فتتجرع الزوج آلاماً معنوية وعذاباً وجدانياً).[٤]

من أجل هذه الأضرار وغيرها الناجمة عن السفور والزينة، فإن الإسلام أكد على عدم التبرج بقوله في سورة الأحزاب: **(وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولى..)**.[٥]

كما حذر من إظهار زينتهن، وحصرها في أناس معدودين **(وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَائِهِنَّ أَوْ ءَابَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ لَعَلكُمْ تُفْلِحُونَ)**.[١]

وأمر بالحجاب فقال **(يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ المُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا)**.[٢]

وان أخطر سلاح لأعدائنا في إعلامهم **(إفساد المرأة، وهتك حجابها وتعريتها)!**

وما أجمل من صور الحضارة الحديثة بالحلاقّ، والأمة المسلمة بالأسد، والحلاق ينصحه أن يقلّم مخالبه ليتجاوب مع نعومة الحضارة الشفافة، فإن استجاب الأسد مات جوعاً:

قالوا أتى الليثَ حلاقٌ يعلمه ... قصَّ الأظافر تجميلاً، كما ابتدعوا

يا ليثُ قُلها لذا الحلاق زمجرةً: ... إن المخالب في كفي هي الشَّبَع !

وتنوع الحجاب إلى نقاب وحجاب، أما النقاب فإظهار العينين فقط . للنساء الجميلات حذر الفتنة وذلك اجتهاد عبد الله بن مسعود، (رضي الله عنه)، وأما عبد الله بن عباس فيرى الحجاب، ولم

---

[٢] حديث صحيح.

[٣] اللمعات/رسالة الحجاب – الحكمة الرابعة ٣٠٣.

[٤] المصدر السابق، ٣٠٣.

[٥] الأحزاب/٣٣.

[١] النور/٣١.

[٢] الأحزاب/٥٩.

يكن بينهما خلاف، وأما الحجاب، فهو إظهار الوجه والكفين فقط، إستناداً إلى الحديث النبوي: (إن المرأة إذا بلغت الحلم لا ينبغي أن يُرَى منها غير وجهها وكفيها)[٣]. ويذهب الإمام إلى اعتبار الحجاب أمراً فطرياً لهن: (إن الحجاب أمر فطري للنساء تقتضيه فطرتهن، لأن النساء جُبِلن على الرقة والضعف، فيجدن في أنفسهن حاجة إلى رجل يقوم بحمايتهن وحماية أولادهن)[٤]، فيحرصن على الحجاب حماية لأنفسهن من تجاوز الرجال عليهن. وهو يرى (أن سبعة أعشار النساء إما متقدمات في السن وإما دميمات، فيحتجبن، والبقية شابات لا يتضايقن من إبداء مفاتنهن، وهن يتضايقن من نظرات من لا يحببنه، حتى إن كثيراً من نساء أوروبا يتضايقن من ملاحقة النظرات إليهن ويشكينهم إلى الشرطة).[٥]

فالحجاب للمرأة العفيفة . متزوجةً أو بنتاً . أمر فطري تلوذ به لحماية نفسها من الأشرار وما أكثرهم في هذه الأيام!.

(ويستثنى الإمام القرويين في تخفيف الحجاب عنهم لانشغالهم بأعمالهم الشاقة التي تلهيهم عن الاستثارة، ولأجسامهم الخشنة غير المغرية، لذا فليس على أهل المدن أن يقلدوا أهل القرى والأرياف . إضافة إلى أنه ليس في القرى سفهاء عاطلون كما هو الحال في المدن).[١]

ويتساهل الإمام . (ﷺ) . في عمل النساء . كسباً للقوت، كما تفعل نساء القرى الطيبات، وذلك بالعمل الذي يصون كرامتهن وعفتهن، ويرضين بالقناعة.

واستكمالاً لوصاياه في حماية المرأة، فإنه (يحذّرها من الانحراف ببيان عواقبه تجرع الغصص أضعاف المتعة بدقائق، فإنها تدفع ثمنها سنين، بولد غير شرعي وآلامه في رحمها ثم هو معها في بيته ومجتمعه، سُبّة عليها وسمعة حقيرة تلاحقها العمر كله، لذا فإن عفتها وسعادتها في قناعتها: **(وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ،...)**[٢]، وفي الصبر على العزوبة، وألا تكون سلعة رخيصة تتجرع غصص انحرافها طيلة حياتها. فحمايتها بعفتها وخلقها الإسلامي النبيل، وحجابها)[٣]، وتذكيرهن دائماً أن اللذة الحقيقية في هذه الدنيا هي الإيمان وفي كل عمل صالح لذة معنوية، بينما في الضلالة آلام منغصة في الدارين: **(مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا**

---

[٣] حديث صحيح

[٤] اللمعات/رسالة الحجاب/٢٩٩.

[٥] المصدر السابق/٢٩٩.

[١] اللمعات – رسالة الحجاب/٣٠٤.

[٢] النور/٣٣.

[٣] انظر الشعاعات/٢٤٧.

كَانُوا يَعْمَلونَ)[٤] وهو يرى أن في الإيمان بذرة جَنّة، وفي الضلالة والسفه بذرة جهنم . يكررها مراراً في رسائله[٥].

ويسهم الشعر مع فضيلة الإمام في الحجاب، فيقول الشاعر:

قــل لمــن بعــد الحجــاب أســفرت أبهــذا يــأمر الغيــدَ الشــرف؟
ليســــــت المــــــرأة إلا دُرةً أيكــون الــدّر إلا فــي الصــدف؟

وتقول عائشة التيمورية مفاخرة في جمعها بين العفاف والحجاب والأدب والعلم:

بيــد العفــاف أصــون عــز حجــابي وبهمتــي أســمو علــى أترابــي
مــا ضــرني أدبــي وحســن تعلمــي إلا بكــــوني زهــــرة الألبــــاب
مــا عــاقني خجلــي عــن العليــا ولا ســدل الخمــارُ بِلمتــي ونقــابي

---

[٤] النحل/ ٩٧.

[٥] الشاعات/٢٤٧.

المحور الرابع: الزوجة رفيقة في رحاب الإسلام في الدارين، بمنظور الإمام

١. الزوجة رفيقة زوجها في الدارين.

يتخير الإمام في حلوله لمشكلات المرأة، وبناء شخصيتها المسلمة، من المسلّمات والبدهيات، للإنتهاء إلى النتائج التي تنسجم معها، وهذا هو البحث العلمي، لاسيما في مجال الدعوة الإسلامية . بدأً بالأسرة. ومن المسلّمات أن المرأة شريكة الحياة لزوجها . وهذا ما أجمع عليه الإنسان في عصوره، وهي رفيقته في الحياتين . الدنيا والآخرة، بالمنظور الإسلامي، ولما كانت كذلك (فإنها لا تلتفت إلى غير رفيقها الأبدي وصديقها الخالد . في الدارين).[١]

أما رفيقته في الدنيا، فإنها تترك أباها وأمها وأخاها وأهلها جميعاً، وتلتحق بزوجها، ولا تملك معه من حطام الدنيا أحداً إلا هو وحده، إذ هو المسؤول عنها دون غيره، وقد وصفها رسول الله (ﷺ) في خطبة حجة الوداع: (إنما النساء عندكم عوان (أي أسيرات)، لا يملكن لأنفسهن شيئاً أخذتموهنّ بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، فاتقوا الله في النساء، واستوصوا بهنّ خيرا. اللهم هل بلغت، اللهم اشهد)[٢] . أي أسيرات للزوج والبيت الجديد وتقاليده وعاداته، والأسير في الإسلام يُكرَم ولا يهان، **(وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا . إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لوَجْهِ اللهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا)**[٣]، بل إنها ضيفة العمر عنده، و(الضيف أميرٌ على أهل الدار)[٤]، نعم هي الأميرة في عش الزوجية، هكذا بمنطق الإسلام.

ولا يفهم هذا الفقه إلا الزوجان المتكافئان في الدين، ليلتزما بالقيم الإسلامية البناءة، كما يقول الإمام في حوار مع المؤمنات في رسالة الحجاب: (ثم إن ما هو مطلوب شرعاً ان يكون الزوج كفءً للمرأة، وهذا يعني ملاءمة الواحد للآخر، وأهم ما في هذه الكفاءة هي كفاءة الدين، كما هو معلوم)[٥] لذا فإن هذه الكفاءة في الدين هي مصدر سعادتها ودوامها في الدارين: (إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلاّ تفعلوا تكن فتنةً في الأرض وفساد كبير).[٦]

وإن من يطلب الزواج بالمرأة يضع بحسبانه أربعة أمور، المال والجمال وشرف العائلة والدين، ولا يختار الدين إلاّ صاحب الدين الكفء للمرأة الدّينة، وهذا ما يوصي به النبي الحكيم بقوله: (تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تَرِبت يداك)[١]، حينئذ تخيم السعادة على عِشّ الزوجية: (فما أسعد ذلك الزوج الذي يلاحظ تدين زوجته ويقوم

---

[١] اللمعات/رسالة الحجاب/الحكمة الثانية/٣٠١.

[٢] اللمعات/رسالة الحجاب.

[٣] الإنسان/٨-٩.

[٤] حديث نبوي.

[٥] اللمعات/النورسي/٣٠١.

[٦] أخرجه الترمذي وابن ماجة.

[١] رواه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي وابن ماجة.

بتقليدها، ويصبح متديناً لئلا يفقد صاحبته الوفية في حياة أبدية خالدة)،[٢] ويعقب على هذا بقوله: (وكم هي محظوظة تلك المرأة التي تلاحظ تدين زوجها، وتخشى أن تفرط برفيق حياتها الأمين في حياة خالدة، فتتمسك بالإيمان والتقوى)[٣]،... فما أسعدهما في تسابقهما إلى الجنة! نعم يتسابقان إلى الجنة بل إلى جنة الدنيا قبل الآخرة إذ أن جنة المسلم بيته. هكذا المنطق الإسلامي، لذا فإن المصطفى (عليه السلام) كان يحبب البيت إلى المسلم في وصاياه، ويقول: (فليسعك بيتك، وابكِ على خطيئتك)[٤]، (وما أشقى نقيضيهما اللذين يتسابقان في دفع أحدهما الآخر إلى النار)[٥] ومن خلال الحرص الفطري على هذه الرفقة، أحكم الإسلام بوصاياه ما يديمها، ومنها: قوله تعالى: **(وَلا تَنْسَوُا الفَضْل بَيْنَكُمْ)**[٦].

ومنها: أدب التعامل والاحترام المتبادل بينهما، ذلك أن ميزان الإيمان الكامل حسن الخلق، وطيب التعامل مع المرأة: (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وألطفهم لأهله)[٧]، وفي رواية أخرى (وخياركم خياركم لنسائكم)[٨]. ويباهي المصطفى (عليه السلام) بأنه خير الأزواج لأهله: (خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهله).[٩]

ومنها حبّ رفيقة العمر . حب الإيمان فيها وحب العاطفة والرحمة وحب الوفاء والتضحية وحب الجنس الفطري، وكانت عائشة (رضي الله عنها) أحب الناس إلى زوجها رسول الله (عليه السلام). فحين سأله عمرو بن العاص (رضي الله عنه): أي الناس أحب إليك؟ أجاب: (عائشة) فكأنّ عمراً استغرب من هذا الجواب غير المتوقع بهذه الصراحة، فقال: ما قصدنا النساء، فأجابه (صلى الله عليه وسلم): أبوها، ولم يقل أبو بكر، ثم سأله: ثم مَنْ؟ قال: عمر)[١٠].

ومنها إنها كزوجة خلقت سكناً واطمئنانا وراحة نفسية للرجل: **(لتَسْكُنُوا إليْهَا)**.[١]

ومنها الاستئناس بمشاورة رفيقة العمر . مما يزيد الثقة والاحترام المتبادل، ذلك أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خضع لرأي امرأة: (الرأي رأيك يا أم سلمة)[٢] وذلك في (الحديبية).

أما رفقته في الآخرة، فإن كانت زوجته له وحده، فإنها تكون زوجته كذلك في الجنة، وتكون أجمل من الحور العين يومئذ. ولقد أتى بعض النساء إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يَغَرْنَ من

---

[٢] اللمعات/النورسي/٣٠٢.

[٣] المصدر السابق/٣٠٢.

[٤] حديث صحيح.

[٥] اللمعان/النورسي/٣٠١.

[٦] البقرة/٢٣٧.

[٧] حديث صحيح.

[٨] حديث صحيح.

[٩] أخرجه الترمذي وابن ماجة.

[١٠] رواه احمد والبخاري ومسلم والترمذي وابن ماجة.

[١] الروم/٢١.

[٢] حديث صحيح.

الحور العين، وما زِلن في الدنيا! ويقلن له (ﷺ): أنحن يومئذ أجمل أم الحور العين؟ فأجاب (عليه السلام): بل أنتن يومئذ أجمل.

وورد في الحديث فيما رواه الطبراني وغيره: (يا رسول الله أنساء الدنيا أفضل أم الحور العين؟ قال (ﷺ): نساء الدنيا أفضل من الحور لفضل الطهارة على البطانة. قلت: يا رسول الله، وبِمَ ذلك؟ قال: بصلاتهنّ وصيامهنّ وعبادتهن لله عز وجل. ألبس الله عز وجل وجوههنّ النور وأجسادهن الحرير، بيض الألوان، خضر الثياب، صفر الحلي،..).[٣]

وإن كانت زوجةً لعدة أزواج توفين عنها، فإنها تخير . هي تخير تكريماً لها، لا زوجها . بأن تختار أحسنهم وأقربهم إلى نفسها، ثم عقب على هذا الحكم رسول الله (ﷺ) فقال: (يا أُمَّ سلمَة، ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة).[٤]

ولما كانت الزوجة رفيقته إلى الأبد فإن الإمام الصالح يوصي بوصايا خالدة تضمن لهذه الرفقة خلود السعادة، فيقول: (إن الزوج الرشيد لا يبني محبته لزوجته على جمال ظاهري زائل لا يدوم عشر سنوات، بل عليه أن يبني مودته لها على شفقتها التي هي أجمل محاسن النساء، وأدومها، ويوثقها بحسن سيرتها الخاصة وبأنوثتها، كي تدوم محبته لها كلما شابت تلك الزوجة الضعيفة، إذ هي ليست صاحبته ورفيقة في حياة دنيوية مؤقتة فحسب، وإنما هي رفيقته المحبوبة في حياة أبدية خالدة، فيلزم أن يتحابا باحترام أزيد ورحمة أوسع كلما تقدما في العمر. أما حياة الأسرة التي تتربى في حياة أحضان المدنية الحديثة فهي معرضة للانهيار والفساد، حيث تبنى العلاقة على صحبة مؤقتة، يعقبها فراق أبدي!!).[٥]

---

[٣] رواه الطبراني في الكبير والأوسط، و (الترغيب والترهيب للمنذري/٤/٥٣٧).

[٤] حديث صحيح.

[٥] الشعاعات/ج٤/٢٤٥.

٢. وفاؤها لزوجها:

لما كان الزوج الملتزم بالقيم الإسلامية في تعامله مع المرأة بما أسلفنا وبغيره من التكريم كثير، لذا عليها أن تكون وفية له وهي بفطرتها وفية، كما يذكر الإمام الحكيم: (إن أعظم خصالها هي الوفاء والثقة)[١]، وهذه الصفة مستقاة من حديث المصطفى (عليه السلام) في التأكيد على وفاء الزوج لزوجها بتعبير غاية في البلاغة والواقعية: (... ونسائكم من أهل الجنة: الودود الولود العؤود على زوجها، التي إذا غضب جاءت حتى يضع يدها في يد زوجها، وتقول: لا أذوق غمضاً حتى ترضى)![٢]

بل ان الإسلام ليذكر للمرأة مكانة زوجها في قلبها أنها بعد مكانة الله تعالى ورسوله وفاءً له وحُبّاً وهياماً: (لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها)![٣]

هذه الزوجة بالتزامها بوصايا الإسلام وآدابه لا سيما وفاءها لزوجها هي من أهم مصادر السعادة الدائمة للرجل: (أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهني)[٤]، (الدنيا، كلها متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة)[٥]، وهي قرة العين في دعاء المؤمن: **(وَالذِينَ يَقُولونَ رَبَّنَا هَبْ لنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلنَا للمُتَّقِينَ إِمَامًا)**[٦]، ومن الوفاء الصبر على فراقه بعفة وشرف وإباء.

مرّ الفاروق (رضي الله عنه) ببعض سكك المدينة فسمع صوت امرأة ترتجز:

تطاول هذا الليل، وأسودّ غاربه وأرّقني أن لا حبيبَ أداعبه
فوالله لولا الله تُخشىَ عواقبه لزُلزل من هذا السرير جوانبهُ
مخافةُ ربي، والحياء يعفني وإكرامُ بعلي أن تُنال مراتبه

فسأل عمر (رضي الله عنه) عنها، فقيل: إنها امرأة فلان غاب عنها في الجهاد ثمانية أشهر، فأمر عمر (رضي الله عنه) أن لا يغيب الرجل عن امرأته أكثر من أربعة أشهر،هذا الإسلام الذي ربى الأزواج بهذه العفة والسمو، ونقيضه النظام العالمي الحديث الذي يحمي البنت من منعها من الخروج مع العشاق، وهي في مستهل سن المراهقة، بحجة (حقوق الإنسان)! فمن حقها أن تخابر الشرطة إن منعها واحد من أهلها، فتأتي الشرطة لتحميها في الدعارة عن أهلها، وتسجنهم إن أصرّوا على منعها! حتى امتلأت الدنيا بما نبّأ به القرآن الكريم: **(ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ**

---

[١] المعات – رسالة الحجاب/٣٠٢.

[٢] رواه الرازي في الفوائد وإ بن عسا كر، ..وأبو نغيم في الحليه وا لنسائي والطبراني.

[٣] حديث صحيح.

[٤] رواه إبن حِبان والخطيب في ا لتاريخ وأحمد والطبرا ني والحافظ المنذري في الترغيب والترهيب.

[٥] روا ه النسائي ومسلم

[٦] الفرقان /٧٤.

بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الذِي عَمِلوا لعَلهُمْ يَرْجِعُونَ)[1]، وانتهى بالبشرية المصير إلى أنّ (٤٠٠ مليون إنسان . ذكراً وأنثى) مصاب بالأيدز في السنة الأولى من أواسط القرن الواحد والعشرين، وهم جميعاً في طريقهم الى الموت المحتم!

٣. صبر الزوجين على مشكلاتهما:

ولم يغفل الإمام في تحليله للحياة الزوجية المشكلات التي يعترضانها، ولا بد من حلها وتجاوزها لاستمرار الحياة الزوجية.

أما صبر الزوج على زوجها، وهو الأهم . إذ كثيراً ما يكون لاستعلاء الرجل وهموم أعماله الخارجية أو إعراضه عنها بما يجابهه من بريق الحضارة أو الاختلاط والتبرج والتكشف والتعري التي يزخر بها النظام العالمي الجديد، فما تصنع هذه الضعيفة؟!

إن الإمام يوصي باجتناب المشكلات أولاً، والتخفيف منها إن حدثت بسلوك الزوجة الإيماني الإيجابي الذي يتمثل بما يلي:

(الطهر زينتهن، الخلق هيبتهن، العفة جمالهن، الشفقة كمالهن، الأطفال لهوهن).[2]

غير أن هذه الصفات (لا يصمد لها إزاء المشكلات المفسدة إلا إرادة من حديد)[3]، فإن وقعت المشكلات فعليها أن تلتزم بوصاياه التي يقول فيها: (إنه إذا ما شاهدت الزوجة فساداً في زوجها وخيانة منه وعدم وفاء فقامت هي كذلك عناداً له، بترك وظيفتها الأسرية وهي (الوفاء والثقة) فتفسدهما، يختل عندئذ نظام تلك الأسرة كلياً، ويذهب هباءً منثوراً، كالإخلال بالنظام في الجيش، فلا بد للزوجة أن تسعى جادة لإكمال نقص زوجها وإصلاح تقصيره كي تنقذ صاحبها الأبدي، وإلاّ فهي تخسر وتتضرر من كل جانب، إذا ما حاولت إظهار نفسها وتحببها للآخرين بالتكشف والتبرج، لأن الذي يتخلى عن الوفاء يجد جزاءه في الدنيا أيضاً)[4]، ثم إنه يوصي بالصبر، والالتجاء الى الله ليكشف الغمة: (إذا كان حظ إحداكن وقسمتها زوجاً لا يلائمها فلترض بقسمتها، فعسى الله أن يصلح زوجها برضاها وقناعتها). وعليها أن تتمثل بقول الإمام الشافعي (رضي الله عنه):

دع الأيام تفعل ما تشاء ... وطِب نفساً إذا حكم القضاءُ

ولا تجزعْ لحادثة الليالي ... فما لحوادث الدنيا بقاءُ

ولا حزنٌ يدوم ولا سرورٌ ... ولا عسرٌ عليك ولا رخاءُ

إذا ما كنت ذا قلب قنوع ... فأنت ومالك الدنيا سواءُ

---

[1] الروم/٤١.

[2] الكلمات /ج١ / ٨٧٤.

[3] المصدر السابق/٤٧٨.

[4] الشعاعات / ج ٤ / ٣١١.

ويوصي الإمام (ألا ترجع المرأة الى المحاكم لأجل الطلاق، وهذا لا يليق قطعاً بعزة الإسلام وشرف الأمة).[1] ومن صبر النساء على بطر أزوجهن ما يروى أن أحد الصحابة هجر زوجته بسبب ولادتها ابنة، وكان ساكناً في دار الى جوار دارها، وحدث أن مر بعد سنة ببابها فسمع أرجوزة لها تغاني ابنتها:

مـــا لأبـــي حمـــزةَ لا يأتينـــا يظـــل فـــي البيـــت الـــذي يلينـــا

غضـــبانَ ألا نلـــد البنـــينَ تـــالله مـــا ذلـــك فـــي أيـــدينا

وإنمـــا نأخـــذ مـــا أُعطِينـــا

فأشفق عليها، وثاب إلى رشده ورجع إليها معتذراً.

أما صبر الزوج على زوجه، فذلك بسبب عدم الانسجام مع طباعها وعاداتها، أو بسبب كرهه لجمالها، أو بطره عليها بما يرى من وسائل الأعلام أن تكون كما يرى! أو بمن يخالط من نساء بسبب العمل معهن، وهو أمر قائم لدى جميع البلاد العربية والإسلامية. على نقيض ما يشرعه الإسلام: (لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم).[2]

في حين أن الاختلاط والشهوة تميت القلب والعقل:

رأيـــت الـــذنوب تميـــت القلـــوب ويختـــــرم العقـــــل إدمانُهـــــا

يبيـــع الفتـــى نفســـه فـــي رداه وأســـلم للـــنفس عصـــيانها[3]

فماذا عليه أن يفعل؟ إن الالتزام بالقيم الإسلامية الإيجابية هو الحل، ومن ذلك أن يغمض عن المساوئ ويبصر المحاسن في زوجته . من حيث جمال الخلق الجمال الظاهري المادي، وليدرك عمق الآية الكريمة: **(فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَل اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا)**[4].

إذ أن الوفاء والخدمة والتضحية، والإنجاب وبذل الجهد في إسعاد الزوج . كلها عوامل تزيح ما يكره .

ولينتبه الى جمال الإيمان الذي يجمعه بها في الدارين: **(وَلأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلا تُنْكِحُوا المُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلوْ أَعْجَبَكُمْ أُولئِكَ يَدْعُونَ إِلى النَّارِ وَاللهُ يَدْعُو إِلى الجَنَّةِ وَالمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ ءَايَاتِهِ للنَّاسِ لعَلهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)**.[5]

---

[1] المصدر السابق ../ و٣١٣.

[2] متفق عليه.

[3] عبد الله بن المبارك (أمير العلماء).

[4] النساء/١٩.

[5] البقرة/٢٢١.

أما الحلول، فعليهما أن يتذرعا بالعفو: **(وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)**.[1]

ولا ينسوا الفضل بينهما في عشرة طويلة، وإنجاب ومواقف صعبة متساندين في حياتهما، وإحسان أحدهما على الآخر: **(وَلا تَنْسَوُا الفَضْلَ بَيْنَكُمْ)**[2] فإن لم ينفع السلوك الإيجابي الإيماني ولا السلبي في العفو فمحاولة الصلح: **(وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلاحًا يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا)**.[3]

وإن لم ينفع فالهجر، من غير خروجها من بيته، ولا من فراشه، وأثقل أمر على الزوجة إنكار الزوج لأنوثتها وعدم الاكتراث بها: **(فاهجروهن)**، فإن لم ينفع واستحكم الصراع وعشعش الشيطان في وكرهما فالضرب: **(واضربوهن)**، وهو مجرد إشعار لها بعدم الرضا، كأن يكون بلمسة خفيفة بيد على كتفها أو بضربة سواك على يدها، علماً بأن الرسول (ﷺ) لم يضرب في حياته قط طفلاً، ولا امرأة، ولا خادماً،.....بل ولا دابة!! هكذا أدب الإسلام! فإن لم ينفع فطلقه واحدة.. في طهر لم يقربها فيه، من غير غضب: (لا طلاق ولا إعتاق في إغلاق)[4] وتبقى في بيته، ثم الطلقة الثانية، إن استشرى البغض والنفور، بنفس الشروط السابقة.

فإن لم تستجب للطاعة، فالطلقة الثالثة التي تفصم الحياة الزوجية، وآخر الدواء الكي!

إذا لـــم تكـــن إلا ســـنّةٌ مركبـــاً فمـــا حيلـــة المضـــطر إلا ركوبُهـــا

وهو أبغض الحلال الى الله، ومن غير إساءة الى المرأة: **(فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ)**[5].

٤. مكان الزوجة البيت ـ ذلك عشّ الزوجية الهنيء.

يعتبر الإمام الصالح (أن الحياة الأسرية هي قلعة الإنسان الحصينة، لا سيما المسلم فهي كجنته المصغرة، ودنياه الصغيرة، مادامت الآداب الإسلامية مخيمة على الأسرة في بيتها:

وكـل امـريءٍ يـولي الجميـل محبّـبٌ وكـــل مكـــان ينبـــت العـــزّ طيـــبُ!

ولذلك يؤكد النبي المربي هذه القاعدة بأمر للزوج أن يحصّن قلعته . بيته (فليسعك بيتك).

---

[1] النور/٢٢.

[2] البقرة/٢٢٧.

[3] النساء/٣٥.

[4] حديث صحيح.

[5] البقرة/٢٣١.

ويوضح الإمام سبب فساد الحياة الزوجية بخروج المرأة إلى العمل واللهو خارج البيت، ويذكر: (أن هنالك منظمات سرية تسعى لإضلال الشباب وإفسادهم . الذكور والإناث . بتذليل سبل الشهوات أمامهم وسوقهم إلى السفاهة والغواية لإفساد المجتمع المسلم، وهي تعمل بالخفاء وتسعى جادةً إلى دفع الغافلات من النساء اللطيفات إلى طرق خاطئة آثمة)[١]، ويتنبأ أن ضربة قاصمة على هذه الأمة ستقع من تلك الجهة)[٢]. وقد صدق تنبؤه، لذا فإن العلاج عودة المرأة إلى بيتها.

إنه يقول: (أضلت النساءُ البشريةَ بخروجهن من بيوتهن، فعليهن العودة إليها).[٣]

ويعقب على ذلك: (إذا تأنّث الرجال السفهاء بالهوسات، وإذا ترجل النساء الناشزات بالوقاحات)[٤]، ويبين خطرها بقوله: (لقد أطلقت المدينة السفيهة النساء من أعشاشهن . وامتهنت كرامتهن، وجعلتهن متاعاً مبتذلاً، بينما شرع الإسلام يدعو النساء إلى أعشاشهن . رحمة بهن، فكرامتهن فيها وراحتهن في بيوتهن، وحياتهن في دوام العائلة).[٥]

وهذا الذي يقرره القرآن الحكيم: **(وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولى)**.[٦]

فإن غفل راعيها، فإن الذئاب لها بالمرصاد:

وراعي الشاء يحمي الذئب عنها فكيف إذا الرعاة لها ذئاب!

و لابد للشاه السارحة من وحوش يترصدون لافتراسها:

ومن رعى غنماً في أرض مأسدةٍ ونام عنها، تولي رعيها الأسد

---

[١] اللمعات/٣١٠.

[٢] المصدر السابق/٣١٠.

[٣] الكلمات/٨٧٤.

[٤] المصدر السابق/٨٧٤.

[٥] المصدر السابق/٨٧٤.

[٦] الأحزاب/٣٣.

ملاحظة مهمة:

ملكة جمال العالم تنتحر ضحية امتهان الحضارة الحديثة لها، وتترك وصيتها للمرأة أن لا تنخدع مثلها!

لقد تركت (ملكة جمال العالم قبل بضعة عقود مارلين مونرو) وصية وجدت في غرفتها بعد انتحارها تحذر المرأة المخدوعة بالحضارة الزائفة، نادبةً حظها العاثر في كونها ملكاً مشاعاً للرجال ثمرة الإغراء والإعلام، إنها تقول: (إحذري المجد. احذري ما يخدعك بالأضواء، إني أتعس امرأة على هذه الأرض. لن أستطيع أن أكون أُمّا، إني امرأة أفضل الحياة العائلية الشريفة الطاهرة. إن هذه الحياة العائلية هي رمز السعادة للمرأة، بل للإنسانية... لقد ظلمني الناس،..).

المحور الخامس . الأم في رحاب الإسلام . بمنظور الإمام (ﷺ):

إن رائد الإمام في دعوته يحدوه (الإخلاص والتضحية والرحمة)، وهي شعاره في كل جهد وغايته في كل أمر، وهو ينظر إلى الأم التي تقودها نفس القيم الثلاثة آنفة الذكر في رسالتها، ولا بد أن تثمر البناء الرصين في الأسرة لأولادها.

إنه يصرح بهذه العقيدة البناء هـ للأم بقوله: (إن الوالدة الحنون تضع نصب عينيها كل فداء وتضحية، لتمنع عن ولدها المصائب والهلاك لتجعله يستفيد في الدنيا، فترى ولدها نامياً على هذا الأساس، فتنفق جميع أموالها ليكون ابنها عظيماً وسيداً،..

وقد تخطى فترسله إلى أوروبا من دون أن تفكر في حياة ولدها الأبدية التي تصبح مهدده بالخطر، من غير أن يأخذ قسطاً وافراً من التربية الإسلامية قبل إرساله)[1]، إذاً لجنت ثمار السوء:

من يزرع الشوك يحصد في عواقبه ندامةً، ولحصد الزرع إبانّ!

(ولو أنها عُنيت بأساس العقيدة السليمة فيه والسلوك المستقيم قبل إرساله لكان أسلم له في عدم خسارته الحياة الأخروية في سعادته الأبدية.

إن فداء الأم بروحها إنقاذ اً لولدها من الهلاك من غير انتظار لأجر، ... باعتبار وظيفتها الفطرية تدل على وجود بطولة سامية رفيعة في النساء، بحيث يستطعن أن ينقذن حياتهن الدنيوية والأخروية بانكشاف هذه البطولة،....إلا أن تيارات فاسدة تحول دون تلك السجية الطيبة والفطرة النقية، فتسيء استعمالها).[2]

---

[1] اللمعات . حوار مع المؤمنات . أخواتي في الآخرة / ٣٠٨.

[2] المصدر السابق / ٣٠٨ .

الأم أول أستاذ للإنسان:

هكذا يتحدث إمامنا الفاضل المربي، وهو يُقْسِم على أهمية تربيتها من خلال تجربته مع أمه فيقول: **(أقسم بالله أن أرْسخ درس أخذته، وكأنه يتجدد عليّ إنما هو تلقينات والدتي رحمها الله[1] ودروسها المعنوية، حتى استقرت في أعماق فطرتي وأصبحت كالبذور في جسدي في غضون عمري الذي يناهز الثمانين، رغم أني قد أخذت دروساً من ثمانين ألف شخص، بل أرى يقيناً أن سائر الدروس إنما تبنى على تلك البذور . بمعنى أني أشاهد دروس والدتي . رحمها الله وتلقيناتها لفطرتي وروحي وأنا في السنة الأولى من عمري بذور أساس ضمن الحقائق العظيمة التي أراها الآن في الثمانين من عمري!)**[2] لذا فهو يؤكد في أكثر من موضع على قوله: (عليكم بدّين العجائز)، وينسبه حديثاً الى رسول الله[3] ويضرب الأمثال لذلك في الشفقة والحنان والإخلاص والتضحية، الصادرة من الأمهات باستعداد هم للفداء لأجل الولد، حتى إن الدجاجة تهاجم الأسد، وتفدي بروحها حفاظاً على فراخها الصغار .

ويرى أن تضحية الآباء دون تضحية الأمهات فطرةً وسلوكاً).[4]

ويستطرد الإمام بذكريات والدته الرؤوفة التي فارقها في التاسعة من عمره، ولم يزل يحنّ إلى تبادل الحوار اللطيف معها، كما كان يحياها في طفولته، وهو في الثمانين من عمره.

وما زال يشعر بالحرمان من كثير من ألطاف الرحمة والاحترام معها، كما يحنّ إلى إخوته الثلاثة الذين فقدهم منذ خمسين سنة، وهم العلماء الأتقياء).[5]

ولا غرو في كل ما ذكر عن الأم عموماً وأمه خصوصاً وأسرته، ذلك أن المصنع الذي يبلور شخصية الرجال والنساء، إنما هي الأم في سنيّ حضانتها الشرعية السبعة لأطفالها.

الأم مدرســـــــة إذا أعـــــــددتها أعـــددت شـــعباً طيـــب الأعـــراق [6]

ولقد ذهب علم النفس الحديث بتجاربه الميدانية إلى اعتماد سنوات الحضانة أثراً بالغ الخطورة على نشأة الأطفال، فقرر أن نواة الشخصية تتكون في السنوات الخمس الأولى، وهذه مسؤولية الأم، لا شأن للأب بها، لا من قريب ولا بعيد، وإنما العبء كله على الأم في تضحيتها

---

[1] لقد ذكرت سيرة والدته الحنون ووالدة الورع في كتابي (إخلاص الإمام بديع الزمان النورسي، ودعوة القرآن الكريم) بشرح واف يستحقانه، وهم أهل للمفاخرة بهم وبتكريم الله تعالى لهم .

[2] المصدر السابق / ٣٠٩ .

[3] الملاحق /٤٠٠ .

[4] اللمعات / حوار مع المؤمنات أخواتي في الآخرة / ٣٠٩ .

[5] كليات رسائل النور / ج٧ / الملاحق / ٣٩٧ .

[6] أحمد شوقي.

وسهرها ومناغاتها له وحرصها عليه ونصائحها له ...، وهي مستعدة أن تبذل روحها رخيصة بسببه! لذا فإن تنشئة كهذه لابد أن تثمر شهي الثمار، لاسيما إذا كانت الأم مؤمنة ومثقفة.

لذا قال الشاعر:

وإن مـــن أدْبتـــه فـــي الصـــبا كـالعود يُسَـقي المـاءَ فـي غِرسـه

حتـــى تـــراه مورقـــاً ناضـــراً مـن بعـد مـا أبصـرتَ مـن يَبْسـه[1]

أما إذا كانت غير ذلك فينطبق حينئذ عليها قول الشاعر أحمد شوقي:

وإذا النســـاء نشـــأن فـــي أميـــة رضـــع الرجـــال جهالـــةً وخمـــولا!

ولا شك أن تعليم الأم وتربيتها يبقى راسخاً يزداد ويزدهر مع الزمن وهو قائم على التلقين والتقليد والعاطفة، والحب لمن يغرس فيه معاني الحياة، وهي الأم . أحب الخلق إليه: وشتان ما بين التربيتين . تربية المؤمنات المربيات المتعلمات وتربية المارقات الجاهلات!

ولـــيس النبـــت ينبـــت فـــي جِنـــانٍ كمثـــل النبـــت ينبـــت فـــي الفـــلاة

وهـــل يُرجَـــى لأطفـــال كمـــال إذا ارتضـــعوا ثَـــدِيّ الناقصـــات؟!

وجميل وصف أمير الشعراء لجمال الأم مع طفلها . تربية وتقليداً وحباً وعاطفة، إنه يقول :

والبيـــتُ أنـــتِ الصـــوتُ .. فيـــ ـــه، وهـــو للصـــوت صـــدى

كالببغـــاء فـــي قفـــص قيـــل لـــه، فقلـــدا

وكالقضـــيب اللّـــدن قـــد طـــاوع فـــي الشـــكل اليـــدا

يأخـــذ مـــا عوّدتَـــه والمـــرء مـــا تعـــودا

ولما كان للأم المسلمة هذه المكانة السامية في بناء صرح الشخصية وغرس بذورها، والجهد في سبيلها من حبل ورضاع وسهر وضنى وصبر وعناء، كان حقاً على الله تعالى أن يكرمها بالجنة: (الجنة تحت أقدام الأمهات).[2]

ذلك جزاؤها في الآخرة أما الدنيا فقد عزم الله تعالى في قرآنه على الأولاد ألا يزعجوها ولو بكلمة (أُفّ)، وهي أدنى كلمة، بل همسة تفيد الضجر!

كما قرن الله تعالى طاعة الوالدين بطاعة الله وتوحيده: **(وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لهُمَا قَوْلا كَرِيمًا . وَاخْفِضْ لهُمَا جَنَاحَ الذُّل مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا)**[1]

---

[1] صالح عبد القدوس.

[2] حديث صحيح .

[1] الإسراء / ٢٣، ٢٤ .

ووعد الله تعالى على لسان نبيه الكريم بطول عمر الولد الذي يبر والديه: (من بر والديه فطوبى له، وزاد الله في عمره).[٢]

غير أن الوفاء للأم يجب أن يكون أشد من وفاء الأب، بسبب جهدها الذي هو أضعاف جهده، لا سيما في طفولته التي هو بحاجة كاملة إلي الأم، فقال (عليه السلام) حين سئل: (من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ . أمك، ثم أمك، ثم أمك، ثم أبوك).[٣]

كذلك الأب له حق على الوالد، إذ هو أنشأه لما أدّبه وبما صرف عليه من مال، لذا قال المصطفى (ﷺ): (أنت ومالك لأبيك)[٤] ولقد أتى أحد الصحابة الكرام حاملاً أمه على عاتقه، بعد أن طاف بها الكعبة، يسأله: أوفيّتُ أمي؟ أجابه (ﷺ): (لا، ولا طلقة واحدة من طلقات وضعك، ثم إنك تخدمها وتتمنى موتها، وهي تشقى بتربيتك، وتتمنى لك أن تعيش). وحين تُفَجع الأم بولدها تصاب بأقصى مصيبة وأمرّها في عمرها:

ثكلـــــى ومـــــن لـــــم يـــــذق فـــــراق الأحبـــــة لـــــم يثكـــــل!

لقـــد جرعتنـــي ليـــالي الفـــراق شـــراباً أمـــرّ مـــن الحنظـــل!

ويسعدني أن أختم هذا المحور المهم بما قاله شاعر المسلمين وفيلسوفهم في القرن العشرين الدكتور محمد إقبال في المرأة المسلمة: (إن المسلم الذي لا يقدّر المرأة قدرها لم ينل نصيباً من حكمة القرآن، إن الأمومة رحمة، ولها إلى النبوة نسبة، وإنها لكاتبة سيرة الأمة. ومن يفكر في لفظ الأمة يتبين له دقائق الحكم . وقد قال سيد الكائنات: (الجنة تحت أقدام الأمهات)[٥] .. إن حياتنا من آلام الأم، وصبحنا من ظلامها.

إن ثروة الأمة قادتها الهادون، لا الأمتعة والفضة والذهب، وإن رأسمالها نسل شديد، ذو فكر خصب وعزم حديد. الأمهات للأخوة حافظات، وعلى القرآن والأمة قائمات.

سيدة النساء فاطمة الزهراء[١] أسوة كاملة للمسلمات، بعد أن يصفها رضي الله عنها بما هي أهله، ويذكر ولديها الكريمين الحسن والحسين (رضي الله عنهما) يقول: قد أدبها الصبر والرضا، فهي تتلو الكتاب وتدير الرحى، وكم ذرفت في الصلاة الدموع من القنوت والخشوع. ولولا نهي الدين، وأمر النبي الأمين لطفت حول تربتها، وسجدت على ترابها!).[٢]

---

[٢] حديث صحيح.

[٣] متفق عليه .

[٤] رواه أبو داوود .

[٥] محمد إقبال . حياته وشعره . عبد الوهاب عزام / ١٠٨، ١٠٩.

[١] فاطمة بنت محمد (ﷺ) زوجة الإمام علي (رضي الله عنه) وأم الحسنين . ريحانتي الرسول (ﷺ) وسيدا شباب أهل الجنة. كانت أشبه برسول الله (ﷺ) مِشية، وبشّرها بقرب أجله وأنها أول أهل بيته لحوقاً به، فبكت، ثم قال لها: ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة، وسيدة نساء المؤمنات ؟ فضحكت) في الصحيحين.

[٢] محمد إقبال – حياته وشعره – عبد الوهاب عزام / ١٠٨، ١٠٩ .

المحور السادس . لمَ لمْ يتزوج الإمام ؟

لقد سئل الإمام هذا السؤال . وأثبته في كتابه (الملاحق)، ثم أجاب عنه تفصيلاً. أما نص السؤال: (لمَ بقيتَ أعزب خلافاً للسنة النبوية؟ لقد قرأتُ عدداً من رسائل النور مع ترجمة حياتكم، فرأيت في الترجمة أن من شؤونكم الخاصة العزوبة وعدم إيجاد علاقة بشيء في الدنيا، الأمر الذي لوحظ سريانه إلى طلاب النور أيضاً، فقد رأيت أن أستوضح الأمر،.....).[٣]

أما الجواب، وهو كامل في (الملاحق). فإني سأقتطع منه شواهد حسب تجزئته، توضيحاً لأهميته والتعليق عليه.

الجواب الأول . التضحية النادرة في عمر التأريخ الإسلامي: هي قرار حاسم لا استئناف فيه . التخلي عن الدنيا بما فيها من متاع: الزوجة والأولاد وما يرافقها من مال وغذاء وسكن فاخر، للتفرغ المطلق إلى خدمة القرآن. إنه يتكلم بلسان الغيرة على كتاب الله، والانتصار له من أعدائه الزنادقة المتفرغين لهدم الإسلام والقضاء عليه والانتقام من المسلمين، ليخلو الحكم للأصنام البشرية بقيادة اليهودية العالمية والماسونية والصليبية والعلمانية. إنه يقول: (في الوقت الذي يلزم لصد هجوم زندقة رهيبة تغير منذ أربعين سنة فدائيون يضحون بكل ما لديهم قررت أن أضحي لحقيقة القرآن، لا بسعادتي الدنيوية وحدها، بل إذا استدعى الأمر لسعادتي الأخروية كذلك،.... للقيام بخدمة القرآن الكريم على وجهها الصحيح بإخلاص حقيقي، ما كان لي بد من ترك زواج الدنيا الوقتي، مع علمي بأنه سنة نبوية، بل لو وهب لي عشر من الحور العين في هذه الدنيا، لوجدت نفسي مضطرة إلى التخلي عنهن جميعاً، ولابد لصد الهجمات الشرسة بمنتهى التضحية وغاية الفداء، وجعل جميع الأعمال في سبيل نشر الدين خالصة لوجه الله وحده)[١] وعدته في كل ذلك التقوى والصبر، وشعاره أبداً:

سأصبر حتى يعلم الصبر أنني صبرت على شيء أمر من الصبر!

إنها التضحية، بل إنها الفناء لله إنقاذاً لقرآنه من صولة أعدائه العنيفة الشرسة: (بعد إلغائها دروس الدين في المدارس وتبديل الأذان الشرعي ومنع الحجاب بقوة القانون).[٢] إنها مخالفة نبوية لإنقاذ بيضة الإسلام، ولئلا يلج في محرمات كثيرة من جبن وتقاعس عن نصرته إذ (الزواج مجبنة مبخلة) كما ورد في الحديث النبوي، وعذره: (أن لا يمكن أن تقترف محرمات

---

[٣] أهم ما في السؤال . نقلاً عن كراس صدر ببغداد سنة ١٩٥٣ م

[١] الملاحق / ٤٠٠ . ٤٠١

[٢] المصدر السابق / ٤٠٢

كثيرة لأجل أداء سنة واحدة، ويستشهد بوقوع كثير من العلماء الذين التزموا بسنة الزواج ووقعوا في محرمات، وتركوا فرائض خلال تلك السنين الأربعين الممتدة على خيمة الإسلام للقضاء عليه)!.

ان هذه التضحية، نجدها نادرة في عمر التاريخ الإسلامي، ولها أشباهها من العلماء العزاب الذين خلد ذكرهم التأريخ الإسلامي، وكُتبت فيه مؤلفات أحدثها (العلماء العزاب لفضيلة العالم عبد الفتاح أبو غدة – رحمه الله) وعلى رأس هؤلاء العلماء الإمام المجدد ابن تيمية (ﷺ) الذي عاصر نفس الظروف القاسية التي عاشها النورسي، عاصر الإمام ابن تيمية هجمة المغول الشرسة على الإسلام وقاد جيشاً لَجِبا جمعه من الشام ومصر، وخاض به معركة (شقحب) الفاصلة ضدهم ج. ق. دمشق على نهر الأعوج، وأولم على حلوى النصر قبل المعركة، فقيل له: أيها الإمام أتولم على النصر، ولا تقول : إن شاء الله ؟! فأجاب: أقولها تحقيقاً لا تعليقاً! إذ مادام صادقاً مع ربه فإن الله صادق معه لا محالة: **(وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ)**[٣]. وقد عاش حياته وختمها بما يشبه أواخر حياة إمامنا السعيد الصابر، ذلك أنه قضى السنة والنصف الأخيرة من عمره في أعماق جب (بئر) في سجن في قلعة حلب يلقَى عليه الطعام من فوق، وحُرِم الدواة والقرطاس والقلم! وقد خلَّف من المؤلفات ما بين ٥٠٠٠ . ٦٠٠٠ مجلد! ولم يصلنا منها إلا حوالي (٥٠٠)، ورغم ذلك فقد كان في قمة السعادة كإمامنا، إذ كان يقول لتلميذه العلامة ابن القيم الجوزية: (ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري . يعني بذلك إيمانه وعلمه. أين رحت فهي معي لا تفارقني. إن حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة، ولو بذلت ملء هذه القلعة . قلعة حلب التي كان محبوساً فيها– ذهباً ما عدل عندي شكر هذه النعمة، ما جزيتهم على ما تسببوا لي من الخير. وكان يقول: المحبوس من حبس عقله عن ربه تعالى. والمأسور من أسره هواه! ولما دخل القلعة، وصار من داخل سورها، نظر إليه فقال: **(فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ العَذَابُ)**[١].

وكان في محنته ومحنة المسلمين، ينقلب انشراحا وقوة ويقيناً، ويقول: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة، فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه!.[٢]

إنهما فرسا رهان: لم يتزوجا، وأفتيا في عمر السابعة عشرة وحفظا القرآن في طفولتهما، وأحاطا بعشرات العلوم الشرعية وغيرها،وكتبا مئات بل آلاف الرسائل، وأخذا عن مئات الشيوخ، وتتلمذ على أيديهما الألوف وقادا جيوشاً وقارعا الكفر، وكلاهما زاهد في الدنيا، عاشا فقيرين،

---

[٣] الحج / ٤٠.

[١] الحديد/١٣.

[٢] مدخل إلى التصور الإسلامي للإنسان والحياة/عابد الهاشمي/١١٤/١١٥.

خاصمهما الحكام واعتقلوهما وسجنوهما وعذبوهما، ووشى بهما أعداؤهما أعداء الإسلام من العلماء العملاء والحكام الظلمة[٣]، وكانا منشرحي الصدر في كل ما لا قوه من عنت، ويقولون إنهما في جنة الدنيا قبل الآخرة بسبب معيتهما لله، ومعية الله لهما: **(لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّـهَ مَعَنَا)**[٤]**!**، غير أن الشعب بأجمعه في حلب خرج يشيع إبن تيمية إلا ثلاثة من أعدائه العلماء العملاء، خوفاً قضى الأربعين سنة الأخيرة من عمره في نفي وسجن اقامات جبرية ومحاكمات بلغت ٢٥٠٠ محاكمه، وخرج منها بريئاً**!** ثم مائه من بطش الشعب بهم، في حين أن إمامنا سعيد.

دُفِن بعيداً عن مدينته، ثم حفرت الدولة قبره ليلاً، ورحلت بجثمانه بالطائرة إلى ما هكذا أبطال الدنيا والآخرة**!** (لمثل هذا فليعمل العاملون)**!** لا يعلم مثواه إلا الله خوفا وفرقا منه، وهوَ رمم**!**.

(وتشبه شخصية الإمام سعيد القائد المسلم المضحي الغيور (صلاح الدين الأيوبي) ـ وكلاهما كردي، وذلك حين اعتزامه استرداد القدس حدثه بعض المنّجمين أن عينه ستقلع لو استردها، فقال: لو فقئت عيناي الاثنتين لا ستردیتها بقوة الله، وأقسم أن لا يبتسم، ولا يطأ النساء حتى يفتحها، وحقق الله بصدقه الفتح المبين)**!**

اين قادة العرب والمسلمين اليوم من قادة المسلمين الصادقين**!!**

الجواب الثاني . (إنه يعترف بارتكابه خطأةً درءاً لأخطاء أشد منها، كما علمنا، لذا فهو مؤمن بتأكيد القرآن الكريم والسنة المطهرة على الزواج، ويستشهد بقوله تعالى: **(فأنكحوا مَا طَابَ لكُمْ مِنَ النِّسَاءِ،.....)**[١] وبهدي المصطفى (ﷺ): تناكحوا تناسلوا فاني أباهي بكم الأمم يوم القيامة)[٢] ولكنه يقول: إنها ليست أوامر وجوبيه ودائميه، بل استحبابيه مسنونة، فضلاً عن أنها موقوفة بشروط لابد من توافرها، وقد يتعذر توافرها للجميع وفي وقت واحد . كذلك ان الحديث الشريف (لا رهبانية في الإسلام[*])[٣] لا يعني أن الانزواء والعزوبة . كما هو لدى الرهبان

---

[٣] **واذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام**

[٤] التوبة/٤٠.

[١] النساء/٣.

[٢] أخرجه أبو داوود والنسائي والبيهقي، وروي بروايات شتى.

[*] الرهبانية النصرانية، لابد من توضيح بعض معالمها من خلال الإنجيل . العهد الجديد . لبيان بعدها عن الإسلام بعد المشرقين. وتتلخص بما يلي:[٣]

١. **<u>هجر الدنيا بالكامل</u>**: الحاضر والمستقبل: (لا تهتموا لحياتكم يما تأكلون، وبما تشربون ولا لأجسادكم بما تلبسون،.. فلا تهتموا للغد)./ إنجيل متى / ٦/ ٢٥، وإنجيل لوقا / ١٢/ ٢٢. ٣٢.

٢. **<u>كره الدنيا برمتها</u>**: إذ هي مصدر الخطيئة: (ولا تحبوا العالم، ولا الأشياء التي في العالم. إن أحبّ أحد العالم، فليس فيه محبة الآب) رسالة يوحنا الرسول الأولى /٢/ ١٥. بل إن محبة العالم الذي نعيش فيه هي عداوة لله**!** (إن محبة العالم عداوة لله، فمن أراد أن يكون محباً للعالم فقد صار عدواً لله)– رسالة يعقوب /٤/٤، حتى الجسد لابد من مقته وإهماله، صحةً ونظافة وملبساً: (اهتمام الجسد هو موت)– رسالة بولس الرسول الى أهل روميه /٨/٨، بل العناية بالجسد . نظافةً وغذاءً وراحةً هي عداوة لله: (لأن اهتمام الجسد هو عداوة لله)– رسالة بولس الرسول الى أهل رومية /٨/٩ ، والنفس هي مصدر الطاقات التي تحرك

محرمتان مرفوضتان لا أصل لهما، بل هو حث على الانخراط في الحياة الاجتماعية: (خير الناس أنفعهم للناس)[٤]، ويستشهد بذكر ألوف من السلف الصالح قد اعتزلوا الناس مؤقتاً، وآثروا الانزواء في المغارات لفترة من الزمن، استغنوا عن زينة الحياة الدنيا الفانية وجردوا أنفسهم عنها، كي يقوموا ببناء حياتهم الأخروية على الوجه الصحيح. فكيف بمن يعمل للمنكوبين يحول بينهم وبين السقوط، ويبني كيان الأمة ويخدم القرآن، ويحول دون تحقيق أعداء الإسلام والملحدين ما يشتهون بالانتقام من الإسلام، تاركاً دنياه الآفلة ولا يخالف السنة، بل يعمل طبقاً لحقيقة السنة النبوية)[١]. ولقد صدق![٢]

وأذكر مثالين عابرين على عجالة:

الإمام الغزالي رحمه الله . ألف كتابه النفيس(إحياء علوم الدين) بأجزائه الواسعة وهو قابع في منارة سنتين حتى أنجزه!

وأذكر والدي رحمه الله . إذ قصّ عليّ أنه باع دكانه أيام دخول الإنكليز الموصل عام ١٩٢٠ م، وهو بعمر ١٥ سنة، بثمن بخس، والتجأ إلى مغارة في تل قاينجق في نينوى بظاهر الموصل، وعكف فيها حتى حفظ القرآن وكان يحدثني متعجباً كيف لم تفترسه الذئاب!، ثم انقطع لعلم التجويد حتى نال إجازة القراءات العشر ،وعكف على العلم حتى أُجيزَ الإجازة العلمية، وسنّه لم تجاوز العشرين، ثم انقطع إلى حفظ علوم القضاء، فنال أعلى درجة فيه، ومُنِع منه، إذ لم يتزلف للحكام ! ثم انتهى إلى منصب رئيس أئمة الجيش العراقي (رضي الله عنه وأرضاه). توفي رحمه الله عام ١٩٦٨.

صاحبها، وتخصب الحياة وتطورها، فلا بد من بغضها كذلك، إذ أن بغضها هو الإيمان المحض: (من يحب نفسه يهلكها، ومن يبغض نفسه في هذا العالم يحفظها إلى حياة أبدية)- إنجيل يوحنا / ١٢/ ٢٥.

٣. **<u>الفقر الكامل والتخلي عن جميع المال هو الإيمان المقبول عند الله</u>**! (الحق أقول لكم: إنه يعسر أن يدخل غنيّ إلى ملكوت الله)- انجيل متى /١٩/٢٢-٢٥، وانجيل مرقس ١٠/٢٢-٢٦. (لا يقدر أحد أن يخدم سيدين، لأنه إما أن يُبغض الواحد ويُحب الآخر، أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر، لا تقدرون أن تخدموا الله والمال)- إنجيل متى / ٦/ ٢٤. ٢٦ وإنجيل لوقا /١٦/ ١٣ . وإن الحياة الحقيقية التي تريدها العقيدة النصرانية لأهلها هي (الرهبنة)، وهي شل الجسد وطاقاته، بل إماتتها، وفي موت الجسد حياة الروح: (ولكن إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون)- رسالة بولس الرسول إلى أهل روميه / ٨/ ١٣

[٣] قال ابن حجر: لم أره بهذه اللفظة لكنه عند البيهقي: أن الله أبدلنا بالرهبانية الحنيفيه السمحة. كشف الخفاء/ ٣١٥٤ .

[٤] حديث حسن صحيح أخرجه القضاعي في مسند الشهاب وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢/ ٤٢٠ / ٢ وصحيح الجامع الصغير .

[١] الملاحق / ٤٠١، ٤٠٢

[٢] لقد كتبت في الأدب الإسلامي وتأريخه في عصوره في تسعة أجزاء، ابتداء بصدر الإسلام . الرسالة والخلافة الراشدة، مروراً بالأموي، ثم العباسي، ثم الحقبة المتأخرة والقارة الهندية، ثم الأندلسي، والعصر الحديث في أربع دول وعرّجت. على ذكر أفضل من قرأت من العلماء والوعاظ، بما ينشرح الصدر له ويمتلئ إيماناً، إضافةً إلى دقة الاقتباس والاقتناء. فليرجع إليها من شاء من الاخوة الأحباب على ذكر أفضل من قرأت من العلماء والأدباء والوعاظ، بما ينشرح له الصدر ويمتلئ إيماناً، إضافة إلى دقة الاقتباس والاقتناء. فليرجع إليها من شاء من الأخوة الأحباب.

الجواب الثالث : أما أن بعض طلاب النور (تخلوا عن الزواج)، فقد رفض الإمام ذلك ولم يقرّهم عليه.

غير أنه يقول: (ولكن الطلاب أنفسهم على مراتب وطبقات، فمن وجد الزوجة الصالحة التي تعينه على خدمة القرآن والإيمان فبها ونِعمت، وهو يحمد الله على أمثال هؤلاء، بل إن بعض الزوجات قد يَفُقْنَ أزواجهنّ في دعوتهن فيؤدون العمل بالبطولة الموهوبة لهن بإخلاص تام وشفقة.

وهو يمتدح السابقين من أتباعه وطلابه في أنهم متزوجون وأنهم أقاموا هذه السنّة الشريفة على وجهها، ورسائل النور تخاطبهم قائلة:

(اجعلوا بيوتكم مدارس نورية مصغرة، وموضع تلقي العلم، كي يتربى الأولاد الذين هم ثمار هذه السنّة على الإيمان، فيكونون لكم شفعاء يوم القيامه، وعندها تتقرر هذه السنة الشريفة فيكم حقاً، وبخلافه لو تربى الأولاد على التربية الأوربية وحدها ....فإنهم غير نافعين لكم في الدنيا (ومخاصموكم) في الآخرة، إذ يقولون لكم: (لِمَ لمْ تنقذوا إيماننا. وما هذا إلا مخالفة لحكمة السنة النبوية الشريفة)[١]. أما من جاوز إيمانه مراحله الأولى إلى إرادة الفناء في ذات الله، خدمة للقرآن وأهله، وذلك نادر، فلا حرج من تفرغه الكامل وانقطاعه ببقائه أعزب، من غير إكراه لنفسه على ذلك).[٢]

ما عوضه الله عز وجل في عزوبته ؟

يقول الإمام المجاهد بأنه (لم يندم على حرمانه نعمة الزوجة والأولاد، إذ عوضه الله تعالى بأخوات وبنات وبنين وأطفال معنويين بالألوف[٣]، يحدثهم ويعظهم ويتعظون حتى استحالت الدنيا في قلبه جزءا من جنة الآخرة)، وعاش في جنته في سعادة لا يتذوق طعمها إلا المخلصون المجاهدون:

وأسعد من ترى في الأرض طُرّاً فتى يغدو، وثروته القلوب

ترفرف حوله مادام حياً ويوم يغادر الدنيا تذوب!

رحمه الله تعالى، وأجزل له الثواب، وبارك في أنصاره وأتباعه، ومن اهتدى بهديه، اللهم آمين.

---

[١] الملاحق / ٤٠٢، ٤٠٣ بأيجاز وتصرف .

[٢] وهذا استنتاج من خلال فهمي لرأي الإمام من خلال قراءاتي لشذرات موزعه في رسائله .
الملاحق . الإمام النورسي / ٣٩٥ . ٣٩٦ بايجاز وتصرف.

[٣] لقد بلغ أتباعه حين وفاته المليون، في تركيا وهم اليوم بعد ثلث قرن عدة ملايين، في تركيا، وسائر أنحاء العالم الإسلامي وأوروبا وأمريكا.

(إِنَّ المُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ . فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ)[٤]

وصل اللهم على سيدنا إمام الدعاة والهادين محمد (ﷺ)، وآله و صحبه وسلم.

[٤] القمر/ ٥٤-٥٥.

الخاتمة

الخلاصة :

لقد استوعب إمامنا السعيد الصالح الإسلام نظاماً شاملاً للحياة، متوجاً بقيمة الإنسان التي بوأه الله إياها ليسوس الدنيا بمنهاج الله، في أقدس غاية لإمامنا:

قد رشحوك لأمر لو فطنت له فأربأ بنفسك أن تُرَعى مع الهمل!

لذا فإنه وهب نفسه لخالقه وهاديه: **(وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا)**[1]، وحرمها من نعمة الزوج والأولاد، جهاداً وجلاداً في غمار الصراع الرهيب بينه وبين أعدائه الألداء، فضحى بأسرته وبماله وبوقته وبجهده، انتصاراً لقرانه:

إذا النار لم تُطعمَ ضراماً فأوشك أن تمر بها رماداً![2]

فكان لجهده الورع أن يتوفى عن أسرة قوامها مليون أخ وأخت وولد!

ومن تكن العلياء همة نفسه فكل الذي يلقاه فيها محبب![3]

لقد ركز إمامنا على الأسرة في هذا البحث المقتبس من توجيهاته النابعة من هدي القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وركيزتها المرأة . بنتاً وزوجة وأماً ، بما يعزّها ويسدد خطاها في خضم الحياة ، وقوامها الرجل . الذي أبدع في توصياته بها، وحرص على أن يكون خاضعاً لهدي الله، لتكون جنته الأولى هو وزوجه جنة الدنيا قبل الآخرة ، ويبعدا عن نارهما: **(يَاأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ الحِجَارَةُ).**[4]

وشتان ما بين البناء على الرمل والبناء على الصخر! **(أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ).**[5]

---

[1] الفرقان/٣١.

[2] المعري.

[3] المتنبي.

[4] البقرة/٢٤.

[5] التوبة/١٠٨.

التوصيات :

١. أوصي نفسي أولاً أن أحيا خادماً أميناً، وتلميذاً وفياً لإمامنا الفقيد ﷺ، في الدعوة له، ونشر اجتهاداته الحكيمة في فهم الإسلام، والاقتداء بسلوكه، وأعِد القراء الكرام، أن لهم عندي كتاباً بهذا العنوان خلال سنة إن شاء الله . كما أوصي القراء الأعزاء بما أوصي به نفسي فكراً والتزاما وحباً ودعوة وتضحية، لاسيما أن أعداءنا يبذلون في إبادتنا أضعاف ما نبذل لإصلاحهم!

٢. أوصي بهذا البحث المتواضع أن يُترجَم ويُنشرَ على مدى واسع، للرجال عزاباً ومتزوجين، ونساء . أزواجا وأمهات، لينير لهم الحياة الهانئة التي يحققها لهم الإسلام، بعيداً عن حياة الابتذال والمجون والقلق في الحضارة الحديثة اليوم.

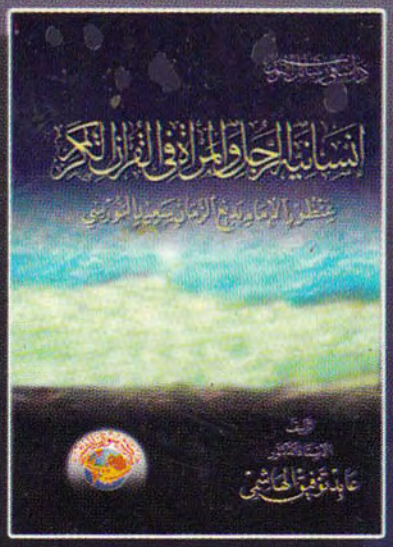

إن العلاقة الوثيقة والحب العميق بين الرجل والمرأة ليسا ناشئين عما تتطلبه الحياة الدنيا من الحاجات فحسب، فالمرأة ليست صاحبة زوجها في حياة دنيوية وحدها، بل هي رفيقته ايضاً في حياة ابدية خالدة.

فما دامت هي صاحبته في حياة باقية فينبغي لها ألاّ تلفت نظر غير رفيقها الابدي وصديقها الخالد الى مفاتنها، وألا تزعجه، ولا تحمله على الغضب والغيرة.

وحيث ان زوجها المؤمن، بحكم ايمانه لا يحصر محبته لها في حياة دنيوية فقط ولا يوليها محبة قاصرة على وقت جمالها وزمن حسنها، وانما يكنّ لها حباً واحتراماً خالصين دائمين لا يقتصران على وقت شبابها وجمالها بل يدومان الى وقت شيخوختها وزوال حسنها، لأنها رفيقته في حياة ابدية خالدة.. فإزاء هذا لابد للمرأة ايضاً أن تخص زوجها وحده بجمالها ومفاتنها وتقصر محبتها به، كما هو مقتضى الانسانية، وإلاّ ستفقد الكثير ولا تكسب الا القليل.